ولا يخفى ان المحتاجين الى العربات يلزمهم ان يعتنوا بالحصول على ما يلائمهم تمامًا لئلاَّ يجبروا البلية على بصرهم عوضًا عن المنفعة وان يوكلوا انتخاب العربات الى اطبَّاء العيون الماهرين. ولكن المستجلبة طبقًا لما عيَّنه هولاء وعلى البائع ان يكتب عندهُ اسم المشتري والعربات التي ناسبت بصرهُ حتى اذا طرأ عارض على التي تُشترَى يكون الحصول على اخرى مثلها سهلاً

مغارة صالح

بقلم جرجس افندي رستم باز

الناس ساعون على عصا التقدم الى الاختراعات والاكتشافات. فمنهم مَن يعملون العقل فيعضدون العلم ويوسعون دائرتهُ ومنهم من يعتمدون على الاشغال والصنائع الميكانيكية فيخترعون الآلات المختلفة ويبنون الابنية العظيمة فتبقى آثارها ان لم نقل هي شاهدة بما توصلوا اليهِ من العلم والفنون ولو كرَّت عليها الدهور ولعبت بها ايدي الدمار. نحن ننسب اليهم الفضل حينما نقف على ما تركوهُ من الآثار ونرقص لها عجبًا والاندهاش ولا نجعل للطبيعة من الفضل نصيبًا مع انها هي الفاعلة في جمال تلك الآثار والعجب والاندهاش مفعولان عنها يشهدان بفضلها . وقد أثبت ذلك ما اخبرت بهِ ألسنة الاقلام وما لا تزال على مشاهدتهِ عيون الناس يومًا فيومًا. فمن ذلك ما وقفتُ عليهِ في هذه الايام المتأخرة وهو مغارة قديمة رحيبة المجال موقعها شرقي عمشيت (قرية من قرى بلاد جبيل بعدها نحو نصف ساعة عن الشواطي البحرية) مرتفعة على كثيب يحيطهُ جبلان شاهقان جنوبًا وشمالاً وتكتنفها اكمةٌ من الجهة الشرقية محاذية لمدخلها. واما تسميتها بمغارة صالح فنسبة الى ناسكٍ كان يسكنها على ما قيل. ومن الخرافات المتداولة على لسان السذَّج انها كانت مأوى الجان والعفاريت فلم يكن احد ليتجرَّأ على ان يدخلها وعلى ذلك قال بعضهم ما يأبى الذوق السليم تصديقهُ وهو "ذهبت يومًا للصيد في ناحية مغارة صالح وعمدتُ على مطاردة الارانب والحجال فوقفت على اربنةٍ فرَّت بجانبي فتتبَّعتها على الاثر حتى انتهت الى المغارة فدخلت بابها وتوارت. واما انا فوقفت خافق الفؤاد عجبًا وخوفًا لاني رأيت بباب المغارة شيخًا هرمًا قد غطَّى الشيب بجالس خودًا بديعة الحسن متكئةً على حجرٍ يكنفهُ بساط من الحرير والشيخ يغازلها ويسقيها كاس الافراح وهي تسبيهِ بغنائها على كؤوس الراح . وبينهما ازهار نضرة تحتها صحون ملأها الذهب وانا من ذلك بمسمعٍ ومرأى وقد ذهب فيَّ الرعب والعجب كل مذهب فلم يكن الاَّ اني اطلقت عليهما الرصاص فانكشف دخانهُ عن ازهار باكية تحتها صحون مُلئت من العصافة والحصى واما الشيخ والمعشوقة فتحولا عن ناظري فللحال رقصتُ عجبًا وتضاعف خفقان قلبي وانقلبت الى داري راجعًا". ومنها ان

كلبًا كبير الجثم اسود الشعر هائل المنظر دخل يومًا هذه المغارة فخرج من مخرجها وقد شيَّبة الخوف فغدا ابيض

اما المغارة فواسعة طولاً وعرضًا يغشيها ظلام حالك حتى لا يمكن الدخول اليها الاَّ بالمشاعيل. ارضها كثيرة الاغوار والانجاد ويشاهد على مسافة قصيرة من مدخلها خمسة اعمدة عظيمة طول كلٍّ منها نحو عشرين قدمًا ومحيطه نحو خمس اقدام تمتد من سقفها الى ارضها وهي من (الربو الماني) تكونت من تجمد مواد ترابية وكلسية تركها الماء بعد ان تبخر او قطر عنها وعلى جانبي رؤوس العمد وقواعدها زوائد كلسية كانها اكاليل صاغتها الطبيعة على منوال تقصر عنه يد الصناعة. والماء يرشح ويقطر من سقفها فيندي العمد وما يجاورها من الزوائد والجدران. وعلى الجانبين مدخل سوقين يسميان بسوقي الخفاش لان هذا الحيوان يأوي اليهما كثيرًا ويُرى فيهما منه ما لا يدخل في نطاق الحصر والسوقان ضيقان صعبا المسلك يكسو ارضهما زبل الخفاش. وقيل ان هذا الزبل معتبر في مزارع التبغ فيخصبها ويجعل تبغها جيدًا لذيذًا وعلى ذلك استخرج منها احد سكان عمشيت في السنة الغابرة نحو ثمانية وثلاثين غرارة من الزبل اودعها ارضًا له لزراعة التبغ فمجح تبغها نجاحًا عجيبًا واما منتهاها فمجهول لم يستقصِهِ احد. وكلما سارت القدم فيها لزمها الامر الى ان تسير مينةً وشمالاً وصعودًا ونزولاً لعدم انتظام مسلكها وحينما تخطأ السوقين والعمد الخمسة التي سلف الالماع اليها ترى العين جدرانًا بديعة نتؤ منها زوائد ونتوات متفاوتة الحجم والاشكال كتماثيل الانسان او الهر او الكلب او الارنب او الحية او الطائر او غير ذلك من الحيوانات الحيَّة والحق يقال انه لو اطاق احد ان يودعها حياةً لخدعت العيون ولوهمتها بانها من المملكة الحيوانية لا من الجمادية. وقد نسب لفيف العامَّة الى تلك التماثيل اقاويل وخرافات عجائزية ولَّدها فيهم الوهم والجهل فذهبوا الى ان كل تمثال منها كناية عن رَصدٍ يرصد كنزًا من المال فنسبوا اليه قوة المدافعة عنه وقالوا بان تماثيل السيوف التي تركها الماء على الجدران انما هي سلاح للمقاومة. فلله در ما ذهبوا اليه وما اعتقدوهُ. ومن هذه النتوات ما كوَّن على الجدار قناطر واقواسًا هندسية منتظمة الرسوم متقنة التخطيط لو شاء اقليدس الزمان ان يأتي بمثلها لقصرت يدهُ عن العمل وعقلهُ عن التصور ومنها ما صنع عليهِ سيوفًا نثرُ بانقانها صناعة الصياغة. ومن النظام العجيب اصطفاف صفوف من العمد بعضهُ وثيقًا تكسوها زوائد وانخفاضات غريبة المنظر وتخرقها على طولها مجاريب ملساء يجري عليها الماء بكل هدوء وسكينة الى ان يلاطم رؤوس الزوائد السفلى فيغسلها بدمعهِ ثم يتبخر فيزيدها علوًّا بما يتركهُ بعدهُ من المواد الترابية والكلسية. ولا تزال العين جائلةً في هذه المناظر الى ان تدب بها القدم الى ساحة رحبة في بهرتها اربعة عمد جبلتها يد الطبيعة ووصلت رؤوسها بثلاث اقواس عجيبة النقش والتركيب وجلُّ ما يقال في وصفها ما قيل عمَّا سلفها انها هي اكبر من السالفة طولاً ومحيطًا وهي مجوفة يُستدَل على

تجويفها من شق كبير في احدها اذا أدخلت منه عارضة خشبية صعودًا صعدت الى اعلى قبو او نزولًا نزلت الى اقصى تجويفه . واما النهد بحيرة مستديرة المحيط يملأها ماء صاف شفاف يكشف عن قعره وتنعكس عنه اشباح النهد . وتحيطها بروزات كلسية بادية الرؤوس مجوفة الجذوع خشنة البشرة تتخللها شقوق كبيرة يجري منها الماء في قنيّات متعرجة السير الى ان تغيب في مخفضات مظلمة مجهولة المسير والمصير . واما السقف في ذلك المكان فتنثو منه نتوات لمّاعة تقطر منها قطرات ماء وتنصبّ في البحيرة . على ان ماء البحيرة منبعه مجهول ولا يسلّم العقل السليم بانه مجموع القطرات المتساقطة من سقفها على توالي الايام لان الماء الخارج منها الى القنيّات اكثر من المتساقط اليها من رؤوس النتوات . هنا تقف القدم ويكبو جواد الشجاعة والاقدام فيجبن ويحجم ويأبى التقدم فيحمل بنفسه الى المغامرة خوفًا مما عساهُ ان يطرأ عليه في ظلمات هذه المغارة . فاذا تجاوز هذا الحد النفسي فيه قامت بحيرة الماء مجهول لم تطأهُ قدم ولم يتجرّأ على استفصائه احد لانهُ ان خاطرت النفس في مجاوز هذا الحد شتّت عن سبيلها فتعذّر رجوعها واقبل هلاكها لكنهُ يقال ان مخرج هذه المغارة في قرية حصرايل وهي شمالي عنتيب وغربيها على بعد نحو ساعة منها . فان هناك بابًا كبيرًا يؤدّي الى قبوٍ مجهولة المصير قالوا ان الكلب الاسود الذي دخل المغارة من بابها المعروف خرج منها شائبًا لشدّة ما طرأ عليه من الخوف . اما مدخل المغارة فستظل فيه نهارًا الرعاة ومواشيهم ويرجع اليه من باطنها صدى غنائهم فترقص له أغنامهم

هذا وقائنا ان نذكر ما وقع عليه البعض ممّن داخلهم مظنة ووهمًا ان التماثيل البارزة من جدران المغارة هي كناية عن رصدٍ يرصد كنزًا من المال . فانهم طمعوا وعوّلوا على ان يسابقوا الرصد على ما يرصدهُ ليلًا ونهارًا فمزقوا الارض في بعض جهات المغارة وحفروها وما زالوا على طلب العنق فيها الى ان ظهرت لهم آنيةٌ من الخزف فاستبشروا وقالوا بوجود الخبإ فيها فاخرجوها وفتحوها فاذا ما حوته مواد رمادية مخزونة بين خبّاها وخزنها تحت هذه الارض وقالوا لا نصيب لنا بالمال فقد رصدهُ علينا الرصد . اما المواد الرمادية فدليل على قدم المغارة وعلى ما هو معروف من ان القدماء كانوا يحرقون موتاهم ويودعون رمادهم آنيةً من الخزف او الزجاج ويدفنونها تحت التراب والله اعلم

لغزٌ بقلم يوسف افندي حائك

جسمٌ نسيجيُّ البناء اذا امتلا ... غازًا برمّتهِ يطير الى العلا
لكن اذا ذا الغاز اطلت جرؤهُ ... يعلو الى حدٍّ يفوق الاوّلا
فاعجبْ اذ هو اخفُّ اذا امتلا ... فأين لنا اسباب ذاك معلّلا